KESİT AKADEMİ DERGİSİ

ISSN: 2149-9225

The Journal of Kesit Academy

التفسيري والاتجاه الأشعري المذهب بين عطية ابن المفسر

Eş'ariyye Mezhebi ve Tefsîrî Yönelim Arasında
Müfessir İbn Atiyye

Ahmed ALDYAB*

Article Information/ Makale Türü/ Информация о Статье:

Research Article/ Araştırma Makalesi/ Научная Статья

Citation / Atıf / Цитата

Aldyab, A. (2021). التفسيري والاتجاه الأشعري المذهب بين عطية ابن المفسر. *The Journal of Kesit Academy*, 7 (29), 47-59.

Aldyab, A. (2021). Eş'ariyye mezhebi ve tefsîrî yönelim arasında müfessir İbn Atiyye. *Kesit Akademi Dergisi*, 7 (29), 47-59.

doi 10.29228/kesit.52573

Submitted/ Geliş/ Отправлено: 07.09.2021

Accepted/ Kabul/ Принимать: 03.12.2021

Published/ Yayın/ Опубликованный: 25.12.2021

This article was checked by Intihal.net. Bu makale İntihal.net tarafından taranmıştır. Эта статья была проверена Интихал.нет This article is under the Creative Commons license. Bu makale Creative Commons lisansı altındadır. Это произведение доступно по лицензии Creative Commons.

*Assist. Prof. Dr., Ankara Yıldırım Beyazıt University, ahmad.adyab@gmail.com

¹التفسيرى والاتجاه الأشعرى المذهب بين عطية ابن المفسر

Eş'ariyye Mezhebi ve Tefsîrî Yönelim Arasında Müfessir İbn Atiyye

Assist. Prof. Dr. Ahmed ALDYAB

المخلص: ظلت عقيدة ابن عطية بين أخذ ورد، فبعضهم اتهمه بأنه اعتزالي وبعضهم اتهمه بأنه يتبع المنهج العقلي المحض، لكن عند التمهيص والتدقيق في تفسيره نجد أن الاتجاه الأشعرى قد طغى على تفسيره دون محاولة إثبات هذا المنهج. وكما هو ملاحظ فإن آيات العقيدة والآيات المتشابهة قد حُملت بأفكار الأشعرية، فقد حاول ابن عطية تفسير هذه الآيات تفسيراً مستنداً إلى علمه وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول الكريم وبما امتلكه من طاقات كلامية وفلسفية، فقد استفاد من المنهج الاجتهادي والعقلي في تفسير بعض الآيات واتبع الطريقة الاستدلالية في ذلك. وقد كان هدف ابن عطية في تفسيره هو تفسير الآيات وفق علمه باللغة العربية وعلمه بالقراءات وعلوم القرآن بشكل عام. وما كان هدف ابن عطية إثبات عقيدة الأشعرى في تفسيره، وإنما كان يتبع المنهج الأشعرى في تفسيره. ومن هنا كان لتفسير ابن عطية قيمة بين التفاسير، فكثير من المفسرين أخذوا من فكره واتبعوا منهجه في التفسير، كأبي حيان والقرطبي وغيرهم. ويأتي هذا البحث ليؤكد على الاتجاه التفسيرى عند ابن عطية وليس الاتجاه العقدي كما زعم بعض النقاد. سينقسم البحث إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: تعريف بابن عطية، القسم الثاني: مناقشات حول اتهام ابن عطية ببعض المذاهب مع الأدلة، القسم الثالث: دراسة تطبيقية على بعض الآيات التي يتبين من خلالها الاتجاه التفسيرى عند ابن عطية.

الكلمات المفتاحية: التفسير، اللغة العربية، القراءات، أهل السنة، الاتجاه التفسيرى، ابن عطية

Abstract: The creed of Ibn Atiyya has been the subject of debate. For some have accused Ibn Atiyya of being Mu'tazila and others of adopting rationalism. However, when we examine and analyze his tafsir comprehensively, it is seen that the Ash'ari tendency comes to the fore in his tafsir, without the need to prove it. In addition, it is noticed that the creed and mutashabih verses include Ash'ariyya ideas. Ibn Atiyya has tried to base the interpretation of these verses on his knowledge, the words of the Companions, the hadiths of the Prophet and his theological and philosophical power. In addition, he benefited from ijthadi (interpretive) and rational (rational) methods in the interpretation of some verses and followed istidlali (evidence-based) methods in this regard. In his tafsir, Ibn Atiyya aimed to interpret the verses in the light of the Arabic language and recitation, and the Qur'anic sciences in general. In addition, Ibn Atiyya hasn't aimed to prove the Ash'ari creed in his commentary, but has followed the Ash'ari method.

¹ Statements of "COPE-Code of Conduct and Best Practices Guidelines for Journal Editors": No conflicts of interest were reported for this article. Ethics committee approval is not required for this article.

"COPE-Dergi Editörleri İçin Davranış Kuralları ve En İyi Uygulama İlkeleri" beyanları: Bu çalışma için herhangi bir çıkar çatışması bildirilmemiştir. Bu çalışma için etik kurul onayı gerekmemektedir.

Therefore, Ibn Atiyya's tafsir was considered valuable among other tafsir, because many commentators such as Ebu Hayyan and Qurtubi followed Ibn Atiyye's method in their commentaries by making use of his ideas. This study was carried out not to dwell on the creed orientation as some critics claim, but to emphasize the exegetical orientation in terms of Ibn Atiyya. It is handled in three parts. In the first part, it is given place to get to know Ibn Atiyye, in the second part, the discussions about the accusation of Ibn Atiyye with some sects, and in the third part, an applied study on some verses explained by Ibn Atiyya in terms of interpretational orientation.

Keywords: Tafsir, Arabic language, recitations, Ahl al-Sunnah, tafsîr tendency, İbn Atiyya

Öz: İbn Atiyye'nin itikadî, tartışma konusu olmuştur. Çünkü bazıları İbn Atiyye'yi mu'tezile olmakla bazıları da rasyonalizmi benimsemekle suçlamışlardır. Ancak tefsirini kapsamlı bir şekilde inceleyip irdelediğimizde tefsirinde, kanıtlama gereği duymaksızın Eş'ari eğiliminin öne çıktığı görülmür. Ayrıca itikadi ve müteşabih ayetlerin, Eş'ariyye fikirlerini taşıdığı fark edilmektedir. İbn Atiyye, bu ayetlerin tefsirini, ilmîne, sahabe sözlerine, peygamberin hadislerine ve sahip olduğu kelimî ve felsefî güce dayandırmaya çalışmıştır. Bunun yanı sıra bazı ayetlerin tefsirinde icthadî (yorumlayıcı) ve aklî (akılcı) yöntemlerden faydalanmış ve bu konuda istidlalî (delile dayanan) yolları izlemiştir. İbn Atiyye, tefsirinde ayetlerin tefsirini Arap dili ve kıraat bilgisine ve genel itibariyle Kur'an ilimlerine göretefsir etmeyihedeflemiştir. Ayrıca İbn Atiyye, tefsirinde Eş'ari itikadını kanıtlamayı hedeflememiş ancak Eş'ari yöntemini takip etmiştir. Bundan dolayı diğer tefsirler arasında İbn Atiyye'nin tefsiri değerli görülmüştür. Zira Ebu Hayyan ve Kurtubi gibi birçok müfessir, İbn Atiyye'nin fikirlerinden faydalanarak tefsirlerinde onun yöntemini izlemişlerdir. Bu çalışma, bazı eleştirmenlerin iddia ettiğigibi itikadî yönelim üzerinde durmak için değil İbn Atiyye nezdindeki tefsîrî yönelimi önemle belirtmek için yapılmıştır. Üç bölüm halinde ele alınan bu çalışmanın ilk bölümünde İbn Atiyye'yi tanımaya, ikinci bölümünde delilleriyle birlikte İbn Atiyye'nin birtakım mezheplerle itham edilmesine yönelik tartışmalara, üçüncü bölümünde ise İbn Atiyye tarafından tefsîrî yönelim açısından açıklanan birtakım ayetler üzerine uygulamalı bir çalışmaya yer verilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Arap dili, kıraatler, Ehl-i Sünnet, tefsîrî yönelim, İbn Atiyye.

المقدمة:

ما من شك أن علم التفسير علم مستقل بذاته، وقد أخذ استقلاله وحظه بين العلوم، لكن الخلط ما زال ينتشر بين بعض الناس، وهذا الخلط

أدى إلى امتزاج وتداخل بعض العلوم القرآنية مع بعضها، فكثير من الناس يخلط بين موضوعات علم التفسير وعلم الفقه أو بين علم التفسير وعلم الكلام أو غيرها من العلوم. ونحن لا نلوم هؤلاء الناس لأنهم ينظرون إلى القرآن نظرة عامة وشاملة. فهؤلاء الناس لا يهتمون إن كانت هذه المسألة تنتمي إلى علم التفسير أو علم الفقه أو علم الكلام، فهم يحاولون فهم هذه المسائل بغض النظر عن انتمائها الموضوعي. وتختلف هذه النظرة في الحقل الأكاديمي، فالعلوم منفصلة عن بعضها، كل علم له اختصاصاته وله قواعده وأدواته ووسائله وله مختصوه، فعلم التفسير لا يقبل أن يتخطى حدوده إلى علم آخر إلا أن يستعين بمفاهيم وأفكار العلم الآخر ليستدل على فكره التفسيري والعكس أيضاً صحيح، فعلم الفقه مثلاً لا يتدخل بعلم التفسير وعلم الكلام كذلك.

ومن هنا فقد وقع بعض الناس في الخطأ عندما نسبوا بعض علماء التفسير إلى بعض الاعتقادات الكلامية، فقالوا هذا مذهبه معتزلي وذلك أشعري والآخر من أهل السنة والجماعة وهكذا، وهم بذلك حاولوا زج هؤلاء العلماء في حبال المذاهب الكلامية ومسائلها الشائكة. وقد جاء هذا البحث ليرد على الذين اتهموا المفسر الكبير ابن عطية بتهمة تنسبه إلى صلتته ببعض المذاهب الكلامية، ولكن بعد التمهيد والبحث وجدت أن هذه التهمة بعيدة كل البعد عن ابن عطية، فكان لا بد لي أن أخوض في البحث في تفسير ابن عطية لاستجلي هذه التهمة. وبالفعل كان الذي رأيته بعد البحث والتمحيص أن ابن عطية يتجه اتجاه تفسيرياً وليس كلامياً، بمعنى أن ابن عطية لم ينجس وما انساق وراء الأفكار الكلامية الشائكة ولكنه كان يستخدم هذه الأفكار ليصل إلى مبتغاه التفسيري للأية. والذي يدل على ذلك ثقافته الموسوعية، فهو كان ينطرق إلى البلاغة العربية في تفسيره وكان يستعين بالقراءات القرآنية وبالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين. وهذا ما جعل تفسير ابن عطية يمتلك قيمة علمية بين التفسير.

تعريف بابن عطية:

ينتسب ابن عطية إلى قبيلة أصيلة من المجد العربيين فهو ينحدر من سلالة بني عطية، وقد كان جده جندياً قاتل في صفوف الجنود العرب في فتحهم للأندلس، وكان أحد الرجال الذين رفعوا لواء المجد في حرب المسلمين في الأندلس². ويجمع المؤرخون على أن ابن عطية ينتسب إلى قبيلة مضر³. وقد ذكر ذلك ابن الأبار (ت 658هـ)⁴. وبعض المحققين نسب ابن عطية إلى ربيعة لا مضر، فصاحب نفح الطيب يذكر نسب ابن عطية في كتابه⁵.

وقد تعدد علماء هذه الأسرة وتعددت اتجاهاتهم العلمية، فقد اشتهر من هذه الأسرة قاسم بن تمام بن عطية المحاربي، فقد كان عالماً فاضلاً وفقهياً جليلاً⁶. والرجل الثاني هو غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية المحاربي وقد كان فقيهاً من فقهاء عصره⁷. ومن هذه الأسرة أيضاً الحافظ أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي المتوفى 518 وهو والد المفسر ابن عطية، وقد كان حافظاً عارفاً بالحديث وعلمه وعارفاً بأسماء الرجال⁸. لقد أثر ذلك في نشأة ابن عطية وقدم له مفاتيح العمل في التفسير، وليس هذا فقط وإنما أخذ العلم ابن عطية من مشايخه بطرق عدة وهي السماع والمناولة والإجازة، فقد قرأ بعض كتب الحديث كالموطأ ومصنف أبي داود⁹.

لقد تتلمذ ابن عطية على عدد من العلماء الكبار وكانوا ميادين في العلم ومذاهبه، فبعضهم كانوا علماء في الحديث وعلومه، وبعضهم كانوا أساتذة في اللغة العربية وفنونها، والبعض الآخر كانوا علماء في الفقه، والأهم من ذلك، العلماء الذين كانوا مجيدين في علوم التفسير والقراءات، فمن هؤلاء العلماء أبوه أبو بكر غالب الذي كان عالماً بالحديث والحافظ أبو علي الحسين الغساني (ت 498هـ)، والذي كان أيضاً عالماً بالحديث وباللغة العربية والشعر¹⁰، ومنهم أيضاً أبو علي الحسين بن محمد الصديقي (ت 514هـ)، وأيضاً كان عالماً بالحديث، ومنهم أيضاً أبو الحسن المعروف بابن الباذش (ت 528هـ) الذي كان شيخاً من

² الديباج المذهب، ص 130

³ فهرس ابن عطية، ص 2

⁴ التكملة لكتاب الصلة ص 337

⁵ نفح الطيب، ص 292

⁶ الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 133

⁷ الصلة، ص 413

⁸ الصلة، ص 433

⁹ فهرس ابن عطية، ص 14

¹⁰ الصلة، ص 142

شيوخ العربية ويصفه ابن عطية أنه كان حافظاً لكتاب سيبويه¹¹. وهذا العالم معروف عند علماء النحو فله شروحات كثيرة في النحو، كشرحه للمقتضب والإيضاح والجمال والكافي وغيرها.¹² ومن العلماء أيضاً الفقيه أبو بحر الأسدي (ت 520 هـ) والفقيه أبو عبد الله التغلبي (ت 508 هـ).¹³

ولم يقتصر أخذ العلم لابن عطية من داخل الأندلس، بل واستقى العلم من خارج الأندلس، كأمثال الفقيه أبو محمد القيرواني والقاضي أبو سعيد خلوف (ت 515 هـ) والفقيه أبو عبد الله الصقلي (ت 517 هـ)، والشيخ أبو عبد الله الحضرمي الإسكندري (ت 512 هـ). لقد كانت البيئة التي تربى بها ابن عطية حافلة بحقول المعرفة والعلم، والذي شجع ابن عطية على الدخول في ميادين العلم رؤيته للناس يطلبون العلم من والده الذي كان من العلماء الأجلاء كما ذكرنا، يضاف إلى ذلك شغف ابن عطية بالعلم منذ صغره، يقول الفتح ابن خاقان (ت 528 هـ) عنه: "سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بغلابه، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهداً، حتى تناول الكواكب قاعداً، وما اكل على أوائله، ولا سكن إلى راحت بكرة وأصائله".¹⁴

وقد اتهم ابن عطية بالاعتزال وأنه قد دسّ بعض أفكار المعتزلة في تفسيره، فمن الذين اتهموه بالاعتزال شيخ الإسلام ابن تيمية، فيقول مقارناً بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري: "وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع - وإن اشتمل على بعضها - بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفسيرات".¹⁵ والتهمة الأخرى جاءت من شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي حيث إنه أجاب عن سؤال: هل في تفسير ابن عطية اعتزال، فأجاب بقوله: نعم فيه.¹⁶ وفي الحقيقة هذه من التهم التي رُمي بها ابن عطية، فنحن كما نعرف أن ابن عطية مالكي المذهب وكما نعرف أيضاً أن أصحاب المذهب المالكي بعيدون نسبياً عن البدع ونجدهم كثيراً ما يأخذون من أفكار الأشعرية.¹⁷

والذي ينفي عنه تهمة الاعتزال أيضاً أنه قرأ كتب الأشعرية وتمثل الثقافة الأشعرية بكل مكوناتها وبذلك كان ينقل عن الأشعري كثيراً في تفسيره، فقد ذكر ابن عطية في فهرسته أنه قرأ لمحمد بن مجاهد الطائي (ت 544 هـ)، ولأبي بكر الباقلائي (ت 403 هـ)، الذي يعد من أكابر الأشاعرة وقرأ للجويني (ت 478 هـ)،¹⁸ كما أننا نجد من المفسرين الكبار وهو أبو حيان التوحيدي (ت 745 هـ)، يقول عن تفسير ابن عطية عندما قارنه بتفسير الزمخشري: "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص".¹⁹

2- أمثلة تطبيقية تبين الاتجاه الأشعري في تفسير ابن عطية (آراء ابن عطية في الميزان)

كما ذكرنا أن ابن عطية كان يحاول دائماً أن يستشهد بأقوال أهل السنة والجماعة وخاصة الأشعرية كأمثال الباقلائي وإمام الحرمين وقد اتبع بذلك منهجاً في تفسيره لبعض الآيات يتفق وينطبق مع أهل السنة والجماعة والمذهب الأشعري، فمثلاً ينفي ابن عطية حلول الله بالمكان وينزّهه عن التحيز في الجهات والأمكنة، فعند تفسير قوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرهم وجههم ويعلم ما تكسبون) (الأنعام:3).

يقول في ذلك " وقاعدة الكلام في هذه الآية أن حلول الله في الأماكن مستحيل وكذلك مماسسته للأجرام أو محاذاته أو تحيزه في جهة، لامتناع جواز التعدد عليه تبارك وتعالى، فإذا تقرر هذا فبين أن قوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض

¹¹ المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي، ص 13

¹² شجرة النور الزكية، ص 131

¹³ مشيخة عياض، ص 17

¹⁴ فلاند العقبان، ص 218

¹⁵ فتاوى ابن تيمية ج 2/ ص 194

¹⁶ الفتاوى الحديثية، ص 172

¹⁷ الديباج المذهب، ص 159

¹⁸ فهرس ابن عطية، ص 12-13

¹⁹ البحر المحيط، ص 10

(الأنعام: 3) ليس على حد قولنا زيد في الدار، بل هو على وجه من التأويل آخر، قالت فرقة: ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ، ثابتة في المعنى، كأنه قال: وهو الله المعبود في السموات والأرض، وعبر بعضهم بأنه قدر: وهو الله المدبر للأمر في السموات والأرض، وقال الزجاج: (في) متعلقة بما تضمنه اسم الله تعالى من المعاني، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب. قال الفقيه أبو محمد: وهذا عندي أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى.²⁰

من الأمثلة التي خاض فيها المفسرون وعلماء الكلام مسألة الاستواء ففي تفسير ابن عطية لآية الاستواء في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) البقرة: 29.

نجد أن ابن عطية يسير مع ما قرره علماء السنة، فهو يرى أن الاستواء لا يرتبط بمكان ولا زمان، لأن هاتين الصفتين تستحيلان في حق الله تعالى. يقول ابن عطية: "ثم" هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر في نفسه، واستوى: قال قوم: معناه علا دون تكيف ولا تحديد، وهذا اختيار الطبري، والتقدير علا أمره وقدرته وسلطانه، وقال ابن كيسان: معناه قصد إلى السماء، قال الفقيه أبو محمد: أي بخلقه واختراعه، وقيل: كمل صنعه فيها، كما تقول استوى، وهذا قلق، وحكى الطبري عن قوم أن المعنى أقبل، وضعفه، وحكى عن قوم: أن المستوى هو الدخان، وهذا أيضاً ياباه رصف الكلام، وقيل المعنى استولى، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: (على العرش استوى) طه: 5²¹ والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان.²²

من المسائل التي خاض بها علماء الكلام وأصحاب المذاهب هي مسألة الفوقية، يعني أن الله محدد بجهة الفوقية، فمنهم من قال أن الله يأخذ جهة الفوقية على اعتبار أن جهة الفوق تفيد القوة والقدرة وأنه يسيطر على كل من تحته، ومنهم من قال إن جهة الفوقية تعني القدرة مجردة من المكان، وهذا الذي أخذ به ابن عطية، فقال في تفسير قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) النحل: 50، فقد أكد ابن عطية بشرحه لهذه الآية ما ذهب إليه الأشعرية قائلًا: "وقوله (من فوقهم) يحتمل معنيين: أحدهما الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فهي فوقية القدرة والسلطان والقهر، والآخر أن يتعلق قوله تعالى (من فوقهم) بقوله: (يخافون) أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم وذلك أن عذاب الله للأمم إنما يتأتى من جهة فوق"²³. فنحن نجد أن ابن عطية قد أعطى احتمالين لتفسير الفوقية، وكلاهما بعيد عن تحديد ذات الله بجهة مكانية.

مسألة أخرى وهي مسألة العين وقد اتخذ ابن عطية منهج التأويل سبيلاً لتفسيره لهذه الآية فيقول: "وقوله تعالى بأعيننا يمكن – فيما يتأول – أن يريد به: بمرأى منا وتحت إدراك، فيكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير، كما قال تعالى: (فنعم القادرون)²⁴ المرسلات: 23، فرجع معنى الأعين إلى معنى عيني في قوله تعالى (ولتصنع على عيني) طه: 39²⁵، وذلك كله عبارة عن الإدراك وإحاطته بالمدركات وهو – سبحانه وتعالى – منزّه عن الحواس

²⁰ تفسير ابن عطية سورة الأنعام، الآية 3

²¹ تفسير ابن عطية الأنعام ج3، ص314

²² تفسير ابن عطية البقرة: 29

²³ تفسير ابن عطية، سورة النحل: 50

²⁴ المرسلات 23

²⁵ طه 39

والتشبيه والتكليف- لا رب غيره " ويحتمل قوله (بأعيننا) أي بملانكتنا الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا للتكثير.²⁶ وبذلك نجد إقراراً من ابن عطية بقوله : سبحانه وتعالى منزّه عن الحواس والتشبيه والتكليف، وهذا بما يتماشى مع عقيدة أهل السنة وعقيدة أصحاب المذهب الأشعري.

وابن عطية نجده يقف في صف أهل السنة تقريباً في كل المسائل التي اشتد الخلاف حولها ومن أهمها مسألة التوحيد التي تتعلق بصفات الله تعالى وهل هي ثابتة أم محدثة ، وقد أثبت هذه الصفات بعكس المعتزلة الذين رَوَوْا نفيها، ففي قوله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً) البقرة:165، يثبت ابن عطية وجود القوة لله ولكنه يؤولها بقدرته الله تعالى وهو بذلك يكون قد وضع نفسه خلاف المعتزلة راداً عليهم (وثبت بنص هذه الآية القوة لله بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة)²⁷

من الآيات التي وافق فيها ابن عطية المذهب الأشعري وأهل السنة وعارض المعتزلة هي مسألة مرتكب الكبيرة إذا مات قبل توبته، فقد قرر المعتزلة أنه يخلد في النار لكن عذابه أخف من عذاب الكافر، أما بالنسبة لابن عطية فقد خالفهم ورأى أنه لا يخلد في النار وإنما هذا مرده إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وهذا ما نراه في تفسيره لآية التوبة في قوله تعالى (وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً) النساء: 18 . يقول ابن عطية " فالعقيدة عندي في هذه الآيات: أنه من تاب من قرب فله حكم التائب، فيغلب عليه أن ينعم ولا يعذب، وهذا مذهب أبي المعالي وغيره، وقال غيرهم: بل هو مغفور له قطعاً لإخبار الله تعالى بذلك، وأبو المعالي يجعل تلك الأخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة، ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين، فإن كان كافراً فهو خالد، وإن كان مؤمناً فهو عاص في المشيئة، ولكن يغلب الخوف عليه، ويقوى الظن في تعذيبه، ويقطع من جهة السمع أن من هذه الصنف من يغفر الله له تفضلاً ولا يعذبه"²⁸ ويؤكد هذا كلامه تفسيره لقوله تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة:81، فيقول في تفسير الخلود " والخلود في هذه الآية على الإطلاق ، و التأييد في المشركين، ومستعار بمعنى الطول والدوام في العصاة وإن علم انقطاعه ، كما يقال : ملك خالد، ويدعى للملك بالخلد "²⁹

من المسائل التي تدل على أشعرية ابن عطية مسألة كلام الله، فقد ذهب الأشاعرة إلى أن كلام الله لا يوصف بالحدوث لأنه صفة من صفات ذاته، و صفات ذاته قديمة غير مخلوقة ولا محدثة وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة³⁰ ، فمثلاً في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف: 54 ذكر ابن عطية أن المفسرين أخذوا الخلق بمعنى المخلوقات، أي هي له كلها وملكه واختراعه وأخذوا الأمر مصدرأً من أمر يأمر، وعلى هذا قال النقاش وغيره إن الآية ترد على القائلين بخلق القرآن لأنه فرق فيها بين المخلوقات وبين الكلام إذ الأمر كلامه عز وجل³¹ . أما قوله تعالى (وكان أمر الله مفعولاً) النساء: 47، فقد ذهب المعتزلة واستدلوا على أن الأمر مخلوق³² .

وقد رد ابن عطية على ذلك القول وأيد قول الأشاعرة وأهل السنة قائلاً " وأمر الله في هذا الموضع واحد الأمور دال على

²⁶ تفسير ابن عطية، هود 37

²⁷ تفسير ابن عطية ، البقرة :165

²⁸ تفسير ابن عطية، النساء 18

²⁹ تفسير ابن عطية البقرة 81

³⁰ انظر: الإنصاف، الباقلاني، ص 27

³¹ الأعراف، ص 76

³² القاضي عبد الجبار، المغني، ج 7، ص 88

جنسها، لا واحد الأوامر"³³ وهذا ما ذهب إليه السمين الحلبي (ت 756هـ)³⁴ والرازي (ت 606 هـ)³⁵. ويذكر ابن عطية معضداً قوله وشارحاً لهذه الآية في مكان آخر من سورة الأحزاب الآية 37 (وكان أمر الله مفعولاً)، حيث يقول: وكان أمر الله مفعولاً فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم أمر الله أو مضمن أمر الله وإلا فالأمر قديم لا يوصف بأنه مفعول ويحتمل على بعد أن يكون الأمر واحد الأمور أي التي شأنها أن تفعل.³⁶

من الموضوعات التي يمكن أن نرى الآراء التفسيرية لابن عطية ونحدد مذهبه التفسيري والكلامي في ذلك موضوع اليد، وهل يمكن إضافة اليد لله تعالى، فقد وردت مسألة اليد في القرآن في عدة آيات منها قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) المائدة: 64.

ينفي ابن عطية التشبيه عن الله تعالى وأنه ليس بجسم ولا له جارحة ولا يُشَبَّه ولا يُكَيَّف ولا يَتَحَيَّر في جهة كالجواهر ولا تُحْلَى الحوادث. وهذا القول إنما هو من ضمن أقوال الأشاعرة.³⁷

ومنها أيضاً قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) الفتح: 10.

وابن عطية يمشي مع جمهور المتأولين حين يقرر أن اليد هنا بمعنى النعمة، أي نعمة الله تعالى في نفس هذه المبايعة لما يُسْتَقْبَل من محاسنها، فوق أيديهم التي مدوها لبيعته. وفي نفس السياق نرى ابن عطية يوافق آراء الأشاعرة،³⁸ وينساق معهم في نفس المفهوم وهذا يتسق أيضاً مع المعنى الذي قرره أهل السنة والجماعة فيقول: "وقال آخرون: يد الله هنا بمعنى قوة الله تعالى فوق قواهم، أي في نصرهم ونصرهم"³⁹

ومنها أيضاً قوله تعالى (ألم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس: 71.

حيث يقول ابن عطية في تفسيره مسانداً فكره حول موضوع استحالة التشبيه في حق الله تعالى ومعضداً آراء الأشاعرة في مفهوم معنى اليد في القرآن: "وقوله تعالى (أيدينا) عبارة عن القدرة عبر عنها ب"يد" و"يديين" و"أيد"، وذلك من حيث كان البشر إنما يفهمون القدرة والبطش باليد، فعبر لهم بالجهة التي اقتربت من أفهامهم، والله تبارك وتعالى منزّه عن الجارحة والتشبيه كله"⁴⁰

ولو انتقلنا إلى جزئية أخرى جاءت في القرآن ودار حولها النقاش بين المتكلمين والمفسرين وهي موضوع العين والتي أماطت اللثام عن فكر ابن عطية التفسيري. فمثلاً جاء قوله تعالى (فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا) المؤمنون 27. يقول ابن عطية في تفسير "بأعيننا" يمكن - فيم يُتَأَوَّل - أن يريد به برأى منا وتحت إدراكنا، فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير.⁴¹

وقوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر) القمر 13- 14

³³ تفسير ابن عطية، النساء، ص 142

³⁴ السمين الحلبي، الدر المصون ج 1، 375

³⁵ التفسير الكبير، ج 10، ص 123

³⁶ تفسير ابن عطية، ج 13، ص 77

³⁷ الجويني، الإرشاد، ص 146

³⁸ أصول الدين، البغدادي، ص 111

³⁹ تفسير ابن عطية

⁴⁰ تفسير ابن عطية

⁴¹ تفسير ابن عطية

فقد ذهب ابن عطية مع الجماعة في تأويل وتفسير معنى العين في هذه الآية، حيث يقول: "بأعيننا"، قال الجمهور: معناها: بحفظنا وكفايتنا وتحت نظر منا لأهلها، فسمي هذه الأشياء أعياناً تشبيهاً، إذ الحافظ المُنحَف من البشر إنما يكون ذلك الأمر نُصِبَ عينه " ⁴²

لقد قرر الأشاعرة هذا المفهوم في كتبهم، حيث ذهب جمهور الأشاعرة على أن العين المضافة لله سبحانه وتعالى تأتي بأحد معنيين: إما البصر والرؤية، وإما الحفظ والكلاءة. ⁴³

3- الاتجاه التفسيري عند ابن عطية

لا شك أن ابن عطية كان ينساق خلف الآراء التي احتضنها الأشاعرة في نظرهم لبعض المسائل الكلامية، لكن لا يمكن أن ننكر الآراء التفسيرية لهذه المسائل عند ابن عطية. وهذا ملاحظ عند خوضه في تفسير الآيات ومنها هذه الجزئيات التي أُلْحِثَ إليها. ويتجلى الاتجاه التفسيري في عدة نقاط منها: أنه عند ذكره لبعض الكلمات التي تحتمل تأويلات كثيرة فإنه يرجح التأويلات التي لها علاقة بالمعنى العام للآية، فهو يقرر حقيقة عامة ينطلق منها ثم نجده يذكر التأويلات الكثيرة التي تحتملها الكلمة وفق مضمونها وسياقها. فمثلاً عند الحديث عن الآية التي مرت معنا من قبل (واصنع الفلك بأعيننا) هود 37. فإنه يذكر لمعنى العين عدة تأويلات، فيقول: "بأعيننا" يمكن - فيم يُتَأَوَّل - أن يريد به بمرأى منا وتحت إدراكنا، فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير، كما قال الله تعالى: (فنعم القادرون) المرسلات 23. فرجع معنى الأعين في هذه وفي غيرها إلى معنى عين في قوله تعالى (ولتصنع على عيني) طه 39.

وذلك كله عبارة عن الإدراك وإحاطته بالمدركات، وهو تبارك وتعالى منزّه عن الحواس والتشبيه والتكليف لارَبِّ غيره. ويحتمل قوله: "بأعيننا" أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا للتكثير. ⁴⁴

الملاحظ من قول ابن عطية أنه يذكر التأويلات وأنه لا ينساق وراء أقوال المتكلمين، فنراه يخرج عن أقوال المتكلمين إلى اتجاه تفسيري خاص به، فمثلاً عند قوله: " ويحتمل " بأعيننا " أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك " فهذه جملة تفسيرية محضة لا علاقة لها بأقوال المتكلمين ولا بغيرهم.

ومن جهة أخرى، نرى ابن عطية يذكر القراءات الواردة في هذه الكلمة، وعلى هذا فيكون هدفه من شرح الكلمة وتأويلها التفسير لا ذكر آرائه العقدية، فمثلاً في الآية السابقة يقول ابن عطية: وقرأ طلحة بن مُصَرِّف (ت 112 هـ) "بأعيننا" مُدْغَمًا.

فهو إذن يحاول أن يستقصى كل طاقات الآية ليصل إلى وجهته التفسيرية في ذلك.

نجد ابن عطية أيضاً يسترشد بأقوال المفسرين الأوائل ويذكرها في تفسيره بعد ذكر معنى الآية، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) القصص 46. فيقول في تفسير معنى النداء " إذ نادينا بأمرك، وأخبرناك بنبوتك " ثم يذكر قول الطبري في معنى النداء، فيقول: وقال الطبري: معنى قوله: (إذ نادينا) بأن (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً) الأعراف 157. من جهة أخرى نجد أن ابن عطية لم يَخُصْ في المسائل الكلامية لمعنى النداء، أي: له يمكن أن يكون لله صوت ونداء؟ فهو تخطى هذه المسائل لينتجه إلى المعنى التفسيري.

⁴² تفسير ابن عطية

⁴³ البيهقي، الأسماء، ص 313

⁴⁴ تفسير ابن عطية

من الأمور التي يمكن أن ننظر إليها في تفسير المحرر الوجيز والتي تبين الاتجاه التفسيري عند ابن عطية هي نقله لأراء من علماء الحديث وخصوصاً الذين كانت لهم مذاهب عقديّة كالإمام مالك (ت 179هـ)، فمثلاً عند حديثه عن الآية (الرحمن على العرش استوى) طه 5. نجده يجمع أقوال التابعين وتابعي التابعين وأقوال علماء الحديث أيضاً، فيقول: (استوى) قالت فرقة هي بمعنى استولى وقال أبو المعالي (ت 478 هـ)، و غيره من المتكلمين هو بمعنى استواء القهر والغلبة، وقال سفيان الثوري (ت 161 هـ) : فَعَلَ فعلاً في العرش سماه استواء، وقال الشعبي (ت 103 هـ)، وجماعة غيره: هذا من متشابه القرآن، نؤمن به ولا نعترض لمعناه، وقال مالك بن أنس لرجل سألته عن الاستواء، فقال له مالك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني، فأدبر السائل وهو يقول: يا أبا عبد الله لقد سألت عنها أهل الشام وأهل العراق فما وُفِّقَ فيها أحد توفيقك⁴⁵. فهذا المثال خير مثال يوضح اتجاه ابن عطية، فهو يذكر أقوال المتكلمين وفي نفس الوقت يذكر أقوال التابعين وعلماء الحديث أيضاً، فالهدف هو ليس عرض آرائه الكلامية أو أن يذكر اتجاهه العقائدي، وإنما هدفه الوصول إلى أقرب تفسير لمعنى الاستواء.

من ناحية أخرى فقد نقل كثير من علماء التفسير آراء ابن عطية وضمنوها كتبهم، ومن بينهم أبو حيان صاحب البحر المحيط، فنجد كثيراً من آرائه التفسيرية في العربية والقراءات والتأويل موجودة في كتاب البحر المحيط، ليس هذا فحسب، وإنما نجد بعض علماء التفسير اقتفى المنهج الذي سار عليه ابن عطية في تفسيره كالقرطبي (ت 671 هـ)، مثلاً. وقد ذكر ابن خلدون (ت 1406م)، الارتباط بين تفسير ابن عطية وتفسير القرطبي من حيث المنهج فقال: " فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها - يعني تفاسير المنقول- وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى، وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق "⁴⁶

النقطة الأخيرة التي يمكن أن نقولها في حق تفسير ابن عطية واتجاهه الفكري هي القيمة العلمية لهذا التفسير، فقد مدح كثير من العلماء وأصحاب الخبرة والرأي تفسيره، فنجد علي بن سعيد (ت 685) يقول: " ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق، وصاحبه من فضلاء المائة السادسة "⁴⁷. ويمدحه أبو الحسن النباهي (ت 792هـ)، فيقول: " وألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير، فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف "⁴⁸. كما أثنى السيوطي (ت 1505م)، على تفسيره بقوله: " وألف تفسير القرآن الكريم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها "⁴⁹.

الخاتمة:

لا شك أن تفسير ابن عطية يعد من التفاسير القيمة لما يحتويه من بلاغة وقراءات ومعاني، لكن يبقى هذا التفسير مدار البحث لما أحيطت به من شبهات حول مؤلفه. وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- تفسير المحرر الوجيز لم يأخذ نصيبه من الدراسات وخصوصاً تلك الدراسات التي تركز على المعنى، على الرغم من أن هذا التفسير احتوى على أمور قيّمة في البلاغة والقراءات.
- اهتم تفسير المحرر الوجيز ككل التفاسير الأندلسية بالقراءات القرآنية، وحاول ابن عطية أن يستخدم القراءات القرآنية في إظهار المعنى التفسيري.
- حوى تفسير ابن عطية على بعض الآراء الكلامية في بعض المسائل المذهبية، وهذا الذي جعل بعض المشككين ينسب ابن عطية للاعتزال.

⁴⁵ تفسير ابن عطية

⁴⁶ مقدمة ابن خلدون، ص 998

⁴⁷ نفح الطيب، ص 179

⁴⁸ تاريخ قضاة الأندلس، ص 109

⁴⁹ بغية الوعاة، ص 295

- حاول ابن عطية المزج بين اعتقاده وبين التوجه التفسيري للآية، فأحاطت بالآية المعاني الشمولية .
- حاول ابن عطية أن يستفيد من الأحاديث النبوية وآراء الصحابة في المناقشات التفسيرية للآية، وهذا أعطى نكهة إضافية للآراء الكلامية.
- طغى الاتجاه التفسيري على التوجه العقدي عند ابن عطية، مما جعل تفسيره ذا قيمة علمية في مجال التفسير.

المصادر والمراجع:

- ابن الأبار، 1885، المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي، مدريد.
- ابن فرحون، 1417، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو القاسم خلف بن عبد الملك، 1994، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أبو النصر الفتح بن محمد بن خاقان، 1320، قلاند العقيان، دار التقدم العلمية.
- أبو بكر البيهقي، 2008، كتاب الاسماء والصفات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو حيان، 1328، البحر المحيط، مطبعة السعادة بمصر
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله، 1375، التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي.
- أحمد بن تيمية، 1326، فتاوى ابن تيمية، دار العلم الحديث، دمشق.
- أحمد بن حجر الهيتمي، 1346، الفتاوى الحديثة، دار التقدم العلمية.
- أحمد بن محمد، 1388، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت.
- أحمد بن يوسف، السمين الحلبي، 1411، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
- أحمد شمس الدين، 2004، أصول الدين، دار الكتب العالمية، بيروت.
- الرازي فخر الدين، 1981، مفاتيح الغيب، دمشق، دار الفكر.
- الزاهي، محمد، 1983، فهرس ابن عطية، بيروت، لبنان.
- السيوطي، جلال الدين، 1399، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة دار الفكر.
- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، أبو محمد، 1992، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، 2004، مقدمة ابن خلدون، دار يعرب.
- عبد الله الجويني، 2004، الإرشاد، دار الكتب العلمية، بيروت.

عياض بن موسى، مشيخة عياض، مخطوط رقم 4913، دار الكتب.

القاضي أبو بكر الباقلاني، 1371، الإنصاف، المكتبة الأزهرية للتراث.

القاضي عبد الجبار، 2004، المغني دار الكتب العلمية، بيروت.

محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار السلفية.

النباهين أبو الحسن 1400، تاريخ قضاة الأندلس، دار الأوقاف الجديدة.

KAYNAKÇA

İbnu'l-Ebâr (1885). *El-Mu'acem Fî Ashâb-ı Ebî Alî Es-Sıdkî*. Madrid.

İbn-i Ferhûn (1417). *Ed-Dîbâcu'l-Mezheb fî Ma'rîfet-i A'yanu'l-Mezheb*. Dâru'l-Kutubu'l-İlmiyye.

Ebû El-Kâsım Halef bin Abdu'l-Melik (1994). *Es-Sulle fî Târîh-i E'ammetu'l-Endulus ve Ulemâehum ve Muhdîsihum ve Fekâihum ve Udebâhum*. Mektebetu'l-Hâncî.

Ebû El-Nasru'l-Feth bin Muhammed bin Hâkân (1320). *Kulâidu'l-Ukyân*. Dâru'l-Takaddumu'l İlmiyye.

Ebû Hayyân (1328). *El-Bahru'l-Muhîr*. Mutebbe'etu's-Sa'âdet Bi Mısır.

Ebû Abdu'llah Muhammed bin Abdu'llah (1375). *El-Tekmile li Kitâbu'l-Sulle*. Mektebetu'l-Hâncî.

Ahmed bin Teymiyye (1326). *Fetâvî-yi ibn-i Teymiyye*. Dâru'l-İlmu'l-Hays.

Ahmed bin Haceru'l-Haytemî (1346). *El-Fetâvîyu'l-Hadîse*. Dâru'l-Takaddumu'l İlmiyye.

Ahmed bin Muhammed (1338). *Nefehu'l-Tayyib min Gasnu'l-Endulusu'r-Ratîb*. Beyrut.

Ahmed bin Yusuf, Es-Semînu'l-Halebî (1411). *El-Durru'l-Masûn fî U'lûmu'l-Kitâbu'l-Meknûn*. Dâru'l-Kalem.

Ahmed Şemsu'd-dîn (2004). *Usûlu'd-dîn*. Dâru'l-Kutubu'l-İlmiyye.

Er-Râzî Fâhru'd-dîn (1981). *Mefâtihu'l-Gayb, Dimaşk*. Dâru'l-Fakr.

Muhammed Ez-Zâhî (1983). *Fahres ibn-i Atiyye*. Beyrut, Lübnan.

Celâlu'd-dîn Es-Subûtî (1399). *Bagiyyetu'l-ve'ât fî Tabakâtu'l-Lugaviyyîn ve'n-Necât*. Dâru'l-Fakr.

Abdu'l-Hak bin Gâlib bin Atiyye el-Endulusî, Ebû Muhammed (1992). *El-Muharriru'l-Vecîz fî Tefsîru'l-Kitâbu'l-Azîz (Tefsir-i İbn-i Atiyye)*. Dâru'l-Kutubu'l-İlmiyye.

Abdu'r-Rahman bin Muhammed bin Haldûn Velî ed-Dîn (2004). *Mukaddemetu'l İbn-i*

Haldûn. Dâr Ya'rab.

Abdullah el-Cuveynî (2004). *El-Îrşâd*. Dâru'l-Kutubu'l-İlmiyye.

Ayyâd bin Mûsâ. *Meşîhet-i Ayyâd, Mahtût rakam 4913*. Dâru'l-Kutub.

El-Kâdî Ebû Bekir El-Bâkilânî, (1371). *El-Însâf*. El-Mektebetu'l-Ezheriyye Li't-Terâs.

El-Kâdî Abdu'l-Cabbâr (2004). *El-Mugannî Dâru'l-Kutubu'l-İlmiyye*. Beyrut.

Muhammed bin Muhammed bin Mahlûf. *Şeceretu'n-Nûru'z-Zekiyye fî Tabakâtu'l-Mâlikiyye*. Daru's-Selefiyye.

El-Nebâhîn Ebû El-Hasan (1400). *Târîh-i Kazâtu'l-Endulus*. Dâru'l-Evkâfu'l-Cedîde.